obeikan.com

بقار حدة

obeikan.com

سلسلة أدب الفتوة

بقار حدة

الصوت المتفرد

محمد الزين ربيعي

منشورات وزارة الثقافة
الجزائر

03

obeikan.com

سلسلة أدب الفتوة

تحت اشراف:

د. ربيعة جلطي

الإخراج الفني:

عبد الرحمان دحماني

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

obeikan.com

الفنانة بقار حدة

حدّة... امرأة يأتي صوتها

من الماضي حاملا أصداء

الأساطير الملحمية القديمة".

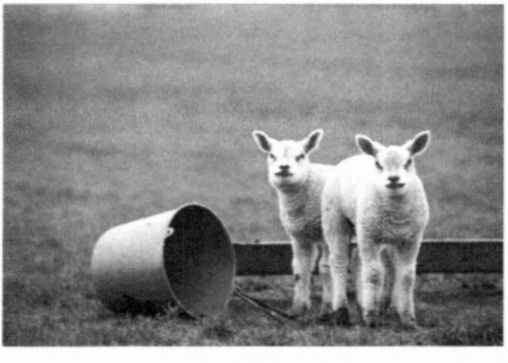

obeikan.com

مولدها وموهبتها:

هي بقار حدّة ابنة أحمد بن صالح وشلبية نشـــاد، ولدت يوم 21 جوان 1920 ببني بربر ولاية سوق اهراس-وسط أسرة ريفية فقيرة ومحافظة ككل أهل البادية، لكنها أسرة فنية، والدها كان فلاّحا يملك أرضا ببلدية الحنانشة ولاية سوق أهراس لكنها مهملة.

فقدت أباها قبل أن ترى النور وهي في بطن أمها، تعرضت وهي طفلة لم تصل سن الخامسة إلى حادث جذع أنفها.

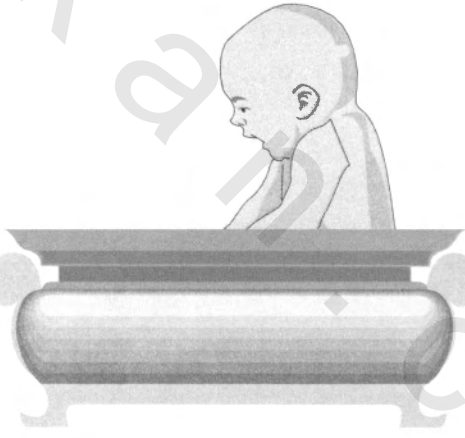

منحت هذه الحادثة بعناية خاصة من الله صوتها بحّة مميّزة، قـــفزت بها بعد ذلك إلى القمة، فدوي صوتها من جبال بني صالح إلى الأوراس وأمتزج برنّة البارود في الأعراس، ثم تعدّى كل تلك الجبال مدويـــا في ربوع الوطن وخارجه.

استفادت حدّة من موهبة أمها وأخيها، وحـــفظت عنهما الكثير من الأغاني، ونظرا لحسن صوتها قام خالها بتشجيعها.

وكان لوالدتها تأثير كبير عليها في بداياتها الأولى، لأن أمها كانت تهوى الغناء، وتقدم الأغاني في الأعراس العائلية في وسط ضيق، وكان أحد إخوتها أيضا محبّا للغناء تتم دعوته هو كذلك للأعراس والأفراح الخاصة بالأهل والأحباب والأصدقاء دون غيرهم.

وحين بلغت السادسة عشرة من العمر ماتت والدتها لتفقد صدرا حنونا كانت تلجأ إليه خصوصا في سـنّها هذه، فانفجرت لا تدري أتبكي أم تغني.

دراستها:

في صغرها التحقت حدة بإحدى المدارس الفرنسية بالمنطقـــة ثم تحوّلت إلى المدرسة العربية بضاحيـــة القلعة التونسيـــة، لكن بقاءها لم يدم طويلا حيث انقطعت عن الدراسة لاعتبارات عائلية خاصة، في ذلك الزمن الذي تعدّ فيه المرأة عصب الحياة الرئيس في البادية.

أعمالها:

ككل امرأة في عصرها بالبادية كانت تقوم حدّة ببعض الأعمال الشاقة، من جمع الحطب إلى حلب الأنعام ورعيها، وجني الثمار خصوصا حصاد القمح والشعير، وإعداد الطعام بل ربما السعي لإيجاده مادة أولية قبل طهيه وتحضيره للإستهلاك.

ذلك ما أرادت الحياة فرضه على حدة الشابة اليافعة ذات 16 ربيعا، والتي كانت في صحة جيّدة تحسد عليها، بل كان يجب أن تشتغل لمساعدة العائلة.

opelkanem

الحب الكبير:

ولأنها أحبّت والدتها حب الجنـــون وتأثرت بها كأم ثم "كهاويـــــة طرب"، التي بدأت الغناء قبل زواجها الأول، وكان ذلك مثلما سلف ذكره أمام العائلة فقط، والتي لم تسمح لها بالغناء في الأعراس وقـــتها أما هي فقـــــد كانت تعكس كل آمالها وآلامها عبر صوتها المميز، خصوصا أثناء الليل وهي تناجي القمر رفقـــة بـــعض الحيوانات التي كانت تبثّها همومها، ولا أحد كان يدري سرّ بوحـــها لقطة كانـــت تصاحبها كثـــيرا ولنجوم كانـــت تسامرها، من هنا إنطلقت قصتـــها وبدأ النجم يصنع أول أشعة نـــوره، ويبني أولى درجات سلمه الذي طال فوصل العنان.

obeikan.com

زاوجها:

سمع الكثيرون صوتها في عمق الليالي فتعجبوا لجماله، وتنبأ البعض لها، تزوجت حدة حين أتمّت عقدها الثاني و لم تبق عند زوجها الأول إلاّ 20 يوما فقط.

ثم أعادت حظّها للمرة الثانية وظلّت 8 سنوات تنتظر إنجاب الابن من زوجها الثاني، لكنه لم يأت فتأكدت حدة أنها لن تنجب الأطفال إلى الأبد، فلم تفقد الأمل وقررّت أن تخلد عن طريق غير طريق الأولاد، ثم تزوجت بابن دباش في 02/ 07/ 1953.

حدّة الصوت الثمين:

وبدأت رحلة الغناء حتى دخلت مهور العرائس، وأصبحت شرطا يطلب بل يجب توفيره لقبول العريس.

فصارت تحيي أعراس المنطقة وتوسّعت شهرتها لتطير بل لتعم أرجاء الشرق، فشدّت الرحال نحو عنابة... عنابة البحر والجو المناسب والتربة الخصبة اللائقة لمنبت الشهرة.

امتدت يدها لتلامس الجواهر والأموال بعد فقر كاد يذهب صبرها، وأحاطت بها ملكات وربّات الجمال يتمنين خدمة يؤدينها لسيدة الغنج والدلال... وتهافت الكبراء والأعيان يطلبون رضاها

و لم تعد حدّة الخنشة بل صارت السيدة حدّة، والفنانة حدّة، والأخت حدّة، وانطلق لسان الأساطير الشعبية بما لذّ وسرّ وتسبّبت دون علم في تعطل كثير من الزيجات، وفي التعجيل بانعقاد أخرى وذلك لأن أهل العروس في كثيرمن الحضائر والمدن يشترطون ضمن مهر بناتهم أن تحيي حدّة الحفل، وهذا إما أن يعجل الموعد المضروب مع حدة بعقد الزواج خوفا من عدم الحصول على موعد أخر بنفس السرعة أو أن يتعطل الحفل لأن المغنية مشغولة لأشهر عديدة.

obeikan.com

شهرتها:

بـــدأت أمياالها العديدة الطويلة بخطوة من مدينة الدريعة (بـــولاية سوق اهراس)، ومنها طارت شهرتها وذاع صيتها وســـط النســـوة وأفراحهن، محبّبة إلى القلوب والأسماع، تغادر الدريعة بحثا عن متسع أرحب ميممة وجهها شطر مدينة ســـوق أهراس، حـــيث الفضاء الأوسع أين يتربع الحاج بورقـــعة على عرش الغناء هناك، يشـــهد له القريب والبعيد بخلود نغماته ومعزوفاته.

كثيرا ما تغنّت حدّة في أعراس الفقراء مجانا وذلك ما زادها شهرة وأطلق العنان للإشاعات.

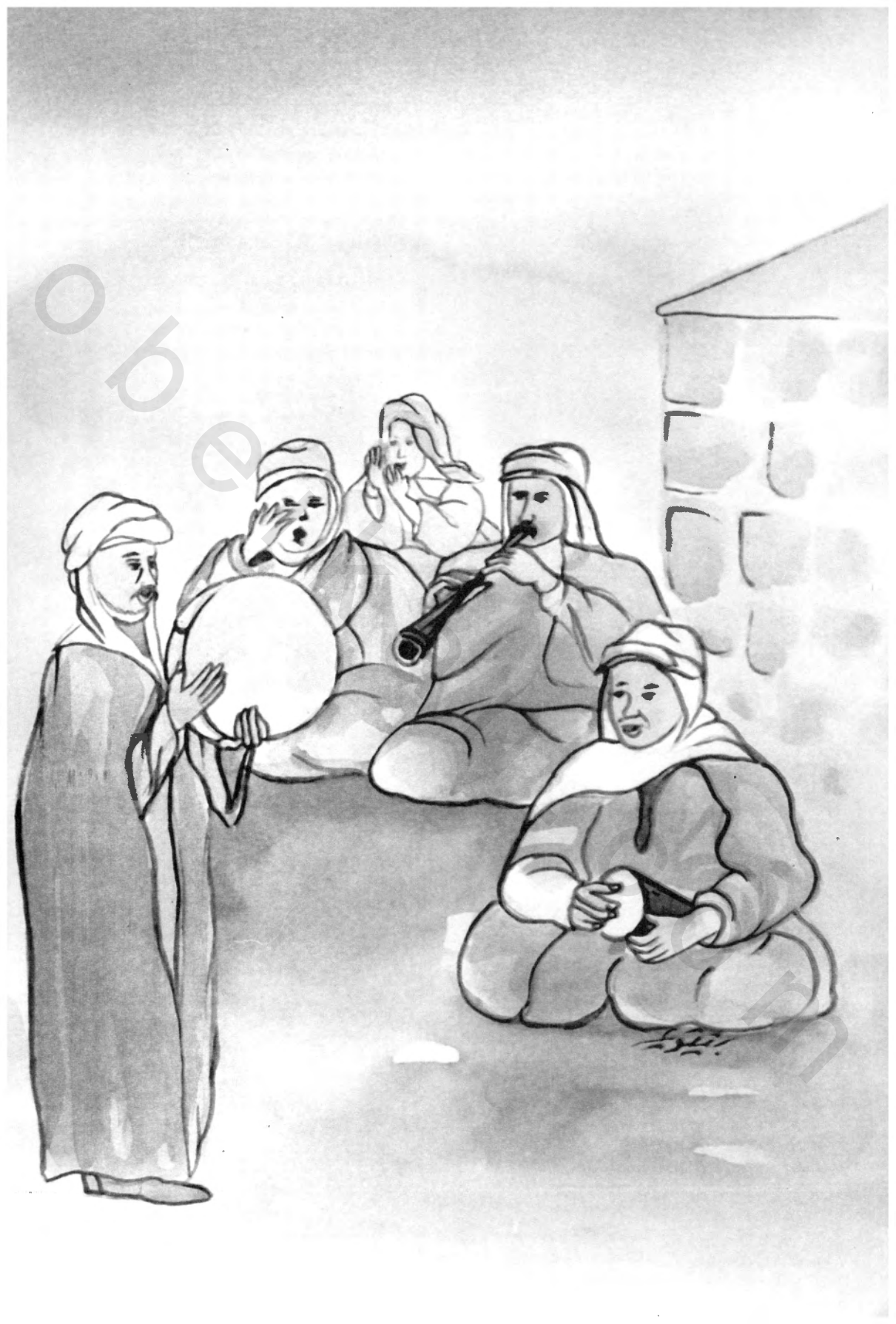

أغاني الحب والوطن:

أحبّت حدّة الحياة والأفراح وغنّت لها من حشاشة قلبها، كانت تساير أحداث المجتمع، تفرح لأفراحه وتتألم لآلامه، ومن ذلك تغنيها بالثورة والثـــوار الذين كان بعضهم يردد أغانيها الشهيرة في جبـــال سوق أهراس والأوراس، بل كانت عند البعض دافعا للثبات ومنبّها ومجددا للعزم، نعم فقد كانت أغنية (خويا الجندي) مدرسة للنضال والتآزر، والوقوف إلى جانب المجاهدين الثائرين المصممين على تحرير الوطن.. كل الوطن.

ألم تصفهم بإخوتها حين قـــالت (**خويا الجندي**)، مع العلم أنها فقدت ثلاثة من إخوتها قبـــل وأثناء الثورة، كما كانت مرآة تعكس غضب جماهير تبسة وسوق أهراس، بل كان أهل الشـــرق والجزائر عموما، حين استـــاؤوا من إقدام المستعمر على استغلال ثرواتهـــم في أغنيتها الشهيرة (**يا جبل بوخضرة جاك الطليان وقلب حجرك**) في إشارة منها إلى استغلال الحديد في منطقة بوخضرة ولاية تبســـة حاليا.

أجمل أغاني الحب وألبومات العشق التي تؤرخ لقصص الغـــــرام الطاهر غنتها، فبـــكت مع المحبـــين وطارت مع الحمام الذي يحمل رسائل الهيام، فغنت(**فرخ القمـــري ولحمامه دوجـــــي**)، حطت مع الظبى والغزالة التي تمثل قمة الجمال، وردّدت مع الشباب المروءة والشجاعة، وأحبّت الوطن حتى النخاع فكانت توازي بـــين غنائها عن الوطن والحب، لا فرق عندها بينهما.

كانت تريد البوح بمكنوناتها والهروب من واقعها المرير، فوجدت نفسها تصارع، صعودا وتألقا كبيرين سبّبـــا لها معاداة من الآخرين، الذين يوازي عددهم المحبين والمعجبين.

أسفارها...

تنقلت حدة كثيرا بأغانيها المميزة عبر مدن وقرى الشرق الجزائري لتتعداه بعد ذلك إلى كثير من المدن، حتى وصلت فرنسا التي استقبلها فيها العرب والجزائريون خصوصا بل سكان فرنسا عموما بترحاب كبير.

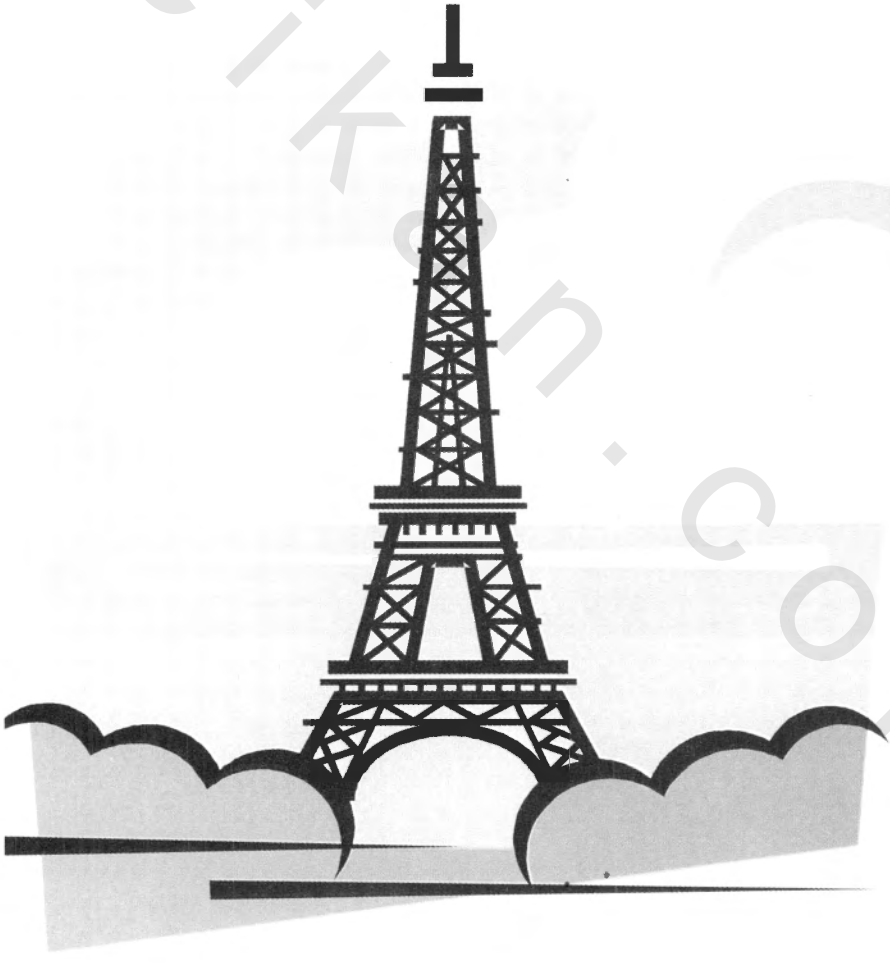

obeikan.com

القليلون هم الذين يعلمون أن غناء حدّة ملأ صالات مارسيليا وليون وباريس، حين أبكت بحتها المهاجرين وحتى الكثير من الفرنسيين.

كما أنها صالت وجالت، ونغماتها تعالت في معظم بل في كل المدن التونسية.

وغنّت فأجادت في إيطاليا وألمانيا والسعودية، وقليلون هم الذين زاروا هذه الدول وغنّوا بنجاح فيها.

كانت تذكر كل هذه المحطات كما تذكـــر اللقاءات الناجحـــة مع الحاج بورقـــعة ومحمد الطاهر الفرقـــاني والكثير من الفنانين منذ العقد الثامن من القرن الماضي أي الثمانينيات.

كثرت عليـــها العروض للبقاء والإستقرار في فرنسا خصوصـــا من أهل مرسيليا، لكنها أحبّت وطنها وقررت البقاء والعيش فيه دون غيره.

وقد غنّت له الكثير مثلما أحبّته كثيرا، وقدّست الأغنية البـــدوية والطرب الشعبي وتراث المنطقـــة، كل هذا عمل على رفع شـــهرتها لتصبح محببة للجميع رغم غيرة زوجها الشديدة.

شاءت لها الأقدار أن تؤدي فريضة الحج رفقة زوجها سنة 1974 بعد مسيرة فنية طويلة وقد كان عمرها آن ذلك 54 سنة.

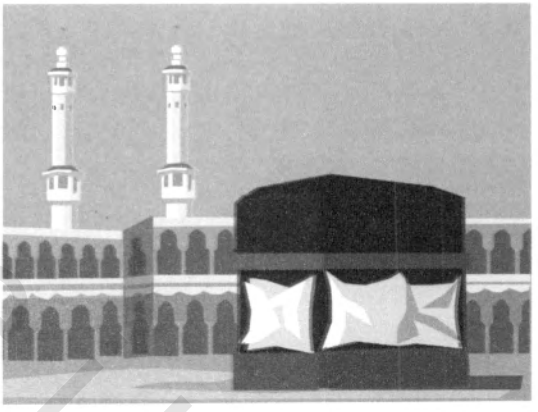

وما ميزها ظهورها في الأعراس والحفلات دون غيرها بنقاب (عجار) يغطي معظم وجهها، بسبب غيرة زوجها ومحافظتها على التقاليد، ليس النقاب وحده بل معه الملاءة السوداء أيضا التي كانت جزء من يومياتها الفنية، ولعلّها كانت شرطها للظهور.

obeikan.com

وفاتها:

عاشت نصف العام الأخير من عمـــرها "أي من جويلية 1998 إلى جانفي 1999" طريحة الفراش دون حركة، في شلل تام فاقـــدة الوعي، والذاكرة فلا حركة ولا غناء ولا تذكّر.

هكذا بين 1920 و1999 عاشت رائدة الأغنية البدوية ونجمة الفن الشعبي بقار حدّة.

obeikan.com

آثارها:

وتوقفت حدّة فجأة عن الغناء نهائيا، حدّة لم تنطفئ لكنها توقفت تاركة وراءها ما يجعلها حـيّة على الدوام، ولن تنطفئ فقـــد ردد الكثيرون أغانيها دون إذنها، ذلك ما جعلها تستاء كثيرا.

في رصيد الفنانة بقار حدّة عشرات الأغاني أشهرها:

- خويا الجندي
- هزيتو عبيدي
- وين طريقو
- طيري الخضر
- لحمامه دوجي
- قالت يا خالي
- هزيت عيوني
- فرخ القمري
- سيدي يحي
- دمه سايح
- لسمر نشكيلو
- باب سيدي
- بئر حموده
- تران الربعة
- صلى الله على النبي
- يا جبل بوخضرة جاك الطليان قلب حجرك.
- كبر خاطرك لا تموت عليل

... وغيرها كثير.

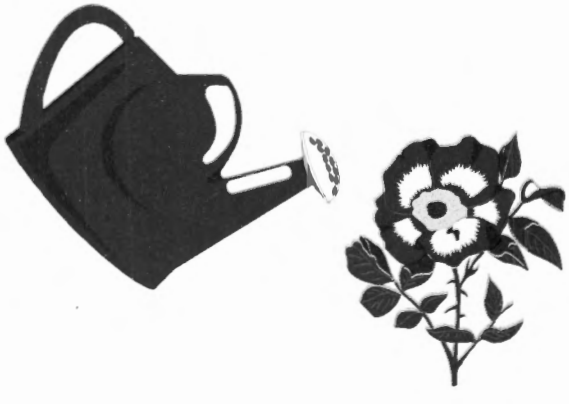

شهادات:

سأت عنها بعض معارفها فأجابني أحـــدهم بســـؤال آلمني كثيرا ولامس في عمق الجرح حين قال لي:

"ألا تعرف حدة الخنشة؟

وأردف إنها امرأة يأتي صوتها من الماضي حـــاملا أصداء الأساطير الملحمية القديمة".

تذكرت وقتها قولة الكاتب، حسن بوساحة حين قال:

"قيل إنها قدمت من زمن الفينيقيين وقيل إنها رافقـــت جحافل بني هلال، وزعموا أنها لا تزال حـــية تعيش في مدينة ساحلية يسمونها بونة".

وفي وطن بعيد بعيد على حدود مملكة الأســـاطير جاءت حـــدّة وحيدة وهي لا تزال كل يوم ترحل وحيدة -كان صوتها وســـيظل سيمفونية للعشق والهذيان- لقد تغنت بما كان وما سيكون، أحرقت القلوب وأدمت الأفئدة ودمّرت هياكل النفي والإبعاد.

لقد كانت حـــدّة الخنشة وستبقـــى على الدوام هاجسا يعشش في قلوب العذارى والمغرمين يحمل النار والحنين إلى القلوب الحائـــرة لا أحد في الدنيا كلها يجهل ما عاشـــت من أجله تلك المرأة العظيمة التي تحدت الفحول والبعول، ومسحت من الذاكرة الشعبية وذاكرة التاريخ فصول القهر والنهر والهزيمة والاحتقار، بل وأد المرأة حية.

موهبـــة كانت أو عطاء، هذه التي تهيم على وجهها في شـــوارع مدينة تأكل أبناءها على حدّ قول الأديبة حمامة العماري.

والدة عبد الغاني (حفيد شقيق المطربة):

"تصوروا أن الراحلة لم تترك لا دينارا ولا خاتما ذهبيا واحدا، عاشت فقيرة وماتت أفقر".

هذا ما أفادنا به بعض الذين عاصروا حدة وعايشوها، إنها الأسطورة الفريدة فهي التي لم تطّلع على قوانين الموسيقى، و لم تساير العازفين إلا من خلال حسها الفني، وموهبتها المعجزة...

opeikan.com

ضمن هذه السلسلة

الأمير عبد القادر	أبو راس الناصر
الشيخ طاهر الجزائري	الكاهنة
محمد العيد آل خليفة	تينهينان
أحمد رضا حوحو	أبوليوس لوكيوس
زليخة السعودي	الخضر حسين
مالك بن نبي	محمد بن شنب
مالك حداد	الشيخ إبراهيم اطفيش
رمضان حمود	مصطفى بن إبراهيم
الشيخ المقراني	بقار حدة
ابن رشيق المسيلي	عيسى الجرموني

pdfkan.com